

الرَّسَالَةُ ٢١١

مَشُورَةُ أُخِيَتُوفَل

(Arabic - Ahithophel's advice)

أحبائي.. حَدِيثَنَا الْيَوْمَ مَوْضُوعُهُ: مَشُورَةُ أُخِيَتُوفَل

وَمِنْ سَفَرِ صَمُوئِيلِ الثَّانِي الْأَصْحَاحِ السَّابِعِ عَشَرَ نَقْرَأُ الْوَقْفَةَ السَّابِعَةَ:

"فَقَالَ حُوشَايَ لِأَبِشَالُومَ: لَيْسَتْ حَسَنَةً الْمَشُورَةُ الَّتِي أَسَارَ بِهَا أُخِيَتُوفَل هَذِهِ الْمَرَّةَ".^١

إِنَّ أَفْضَلَ الْأَصْدِقَاءِ هُوَ الَّذِي يُعْطِيكَ الْمَشُورَةَ الْحَسَنَةَ وَقَدْ احْتِيَاجَكَ إِلَيْهَا. وَيَقِفُ بِجَانِبِكَ وَقَدْ ضَيْقِكَ. وَيَعْرِفُ كَيْفَ يُعِينِكَ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ بِالْعَوْنِ الْمُنَاسِبِ. وَأَشْرَ الْأَعْدَاءِ هُوَ الَّذِي كَانَ أَقْرَبَ الْأَصْدِقَاءِ إِلَيْكَ ثُمَّ انْقَلَبَ عَلَيْكَ. وَاسْتَحَالَتْ صَدَاقَتُهُ الْحَمِيمَةَ إِلَى عَدَاوَةٍ ذَمِيمَةٍ.

وَمِنْ تَجْرِبَةِ دَاوُدَ النَّبِيِّ الَّتِي نَحْنُ بِصَدَدِ الْحَدِيثِ عَنْهَا نَتَعَلَّمُ دُرُوسًا. فَإِنَّ أَفْضَلَ مُسْتَشَارِيهِ وَأَصْدِقَائِهِ وَهُوَ أُخِيَتُوفَل انْقَلَبَ عَلَيْهِ وَأَصْبَحَ عَدُوًّا لِدَاوُدَ لَهُ. لَيْسَ ذَلِكَ وَحَسْبُ بَلْ زَادَ الْمُسْكَلَةَ تَعْقِيدًا وَأَضَافَ إِلَى الشَّرِّ الْفَادِحِ فِدَاحَةً هُوَ تَحَالَفُ الصَّدِيقِ الْمُتَقَلِّبِ عَلَيْهِ مَعَ ابْنِهِ أَبِشَالُومَ الْعَاقِ الْمُتَمَرِّدِ عَلَيْهِ.^٢

أَرَادَ أَبِشَالُومُ ابْنَ الْمَلِكِ دَاوُدَ اغْتِصَابَ الْمُلْكِ مِنْ أَبِيهِ. وَتَأَمَّرَ مَعَ مُتَأَمِّرِينَ آخَرِينَ مِنَ الشَّعْبِ. وَاتَّخَذَ أَبِشَالُومُ أُخِيَتُوفَلَ الَّذِي كَانَ مُسْتَشَارًا سَابِقًا لِأَبِيهِ مُسْتَشَارًا لَهُ وَنَاصِحًا. وَمُدَبِّرًا لِمَكِيدَةٍ تَقْضِي عَلَى أَبِيهِ تَمَامًا بَعْدَ انْتِزَاعِ صَوْلَجَانِ الْمَلِكِ مِنْ يَدِهِ. وَقِصَّةُ الْخِيَانَةِ الْمُرَوَّعَةِ يُسْجَلُهَا الْوَحْيُ مُفْصَلَةً بِسَفَرِ صَمُوئِيلِ الثَّانِي الْأَصْحَاحِ السَّابِعِ عَشَرَ. فَلَوْلَا تَدَخُّلُ الْعِنَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي أَلْهَمَتْ حُوشَايَ الْمُسْتَشَارَ الثَّانِي لِأَبِشَالُومِ ابْنَ الْمَلِكِ دَاوُدَ لِاسْتَوْلَى الْإِبْنُ الْعَاقِ عَلَى مَمْلَكَةِ أَبِيهِ بِمَكِيدَةٍ تَجَرَّدَتْ مِنَ الْكِرَامَةِ وَالشَّرْفِ وَاتَّسَمَتْ بِأَفْبَحِ الصِّفَاتِ. لَقَدْ بَلَغَتْ مَشُورَةُ أُخِيَتُوفَلِ حَدًّا مِنَ الدَّنَاءَةِ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا إِلَّا إِذَا كَانَ حَلِيفًا لِإِبْلِيسَ وَتَتَلَمَّذَ عَلَى يَدَيْهِ. إِنَّهَا مَشُورَةٌ مُجَرَّدٌ ذِكْرُهَا قَبِيحٌ.^٣

لَقَدْ كَانَ حُوشَايَ مُسْتَشَارًا حَكِيمًا. جَاءَ إِلَى أَبِشَالُومَ حِينَ اسْتَدْعَاهُ طَالِبًا مَشُورَتَهُ. وَقَالَ حُوشَايَ لَهُ: "لَيْسَتْ حَسَنَةً الْمَشُورَةُ الَّتِي أَسَارَ بِهَا أُخِيَتُوفَل هَذِهِ الْمَرَّةَ". وَبِذَلِكَ حَفِظَ حُوشَايَ لِعَائِلَةِ دَاوُدَ الْمَلِكِ شَرْفَهَا الَّذِي لَا يُعُوضُ بِثَمَنٍ مَهْمَا غَلَا. وَصَانَ كِرَامَتَهَا الَّتِي لَا تَسْتَرُدُّ بِجَمِيعِ الْجَوَاهِرِ النَّفِيسَةِ الَّتِي تَرَصَّعُ تِجَارَانِ مَلُوكِ الْأَرْضِ. وَلِفَائِدَتِنَا الرُّوحِيَّةِ سَنَتَأَمَّلُ فِي مَشُورَةِ أُخِيَتُوفَلِ الَّتِي أخطَرُ الْمُشِيرِينَ الَّذِي قَدَّمَ مَشُورَتَهُ لِلإِنْسَانِ الْأَوَّلِ فَاسْقَطَهُ بِحِيلَةٍ مَآكِرَةٍ. وَهَذَا يُمَاتِلُهُ أُخِيَتُوفَلُ. ثُمَّ نَتَأَمَّلُ مَشُورَةَ لِلْمُشِيرِ الَّذِي جَاءَ مِنْ عَلِيَاءِ سَمَاءٍ بِمَشُورَةٍ تَحْرِيرٍ وَتَبْرِيرٍ. وَهَذَا يُمَاتِلُهُ حُوشَايَ.^٤

أولاً: الْمَشُورَةُ الْأُولَى الَّتِي تَمَاتِلُهَا مَشُورَةُ أُخِيَتُوفَلِ هِيَ مَشُورَةُ إِبْلِيسَ.. قَدَّمَهَا لِحَوَاءِ فِي جَنَّةِ عَدْنِ. جَاءَ فِي صُورَةِ الْحَيَّةِ الَّتِي قَالَتْ لِلْمَرْأَةِ: أَحَقًّا قَالَ اللهُ لَا تَأْكُلَانِ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟. فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ: مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ. وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللهُ لَا تَأْكُلَانِ مِنْهُ وَلَا تَمَسَّاهُ لِئَلَّا تَمُوتَا. فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ لَنْ تَمُوتَا. بَلْ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلَانِ مِنْهُ تَتَفْتَحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللَّهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. رَأَتْ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلْأَكْلِ. وَأَنَّهَا بَهْجَةٌ لِلْعَيُونِ. وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ وَأَعْطَتْ لِرَجُلِهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ. انْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعِلِمًا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ. فَخَاطَا أَوْرَاقَ تَيْنٍ وَصَنَعَا لَأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ.

سَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الْإِلَهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ. فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الْإِلَهِ فِي وَسْطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ. فَنَادَى الرَّبُّ الْإِلَهِ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: أَيْنَ أَنْتَ؟. فَقَالَ: سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشَيْتُ. لِأَنِّي

^١ سفر صموئيل الثاني ١٧: ٧ ، استمع إلى الإنجيل

^٢ سفر صموئيل الثاني ١٥: ١ - ٣٧

^٣ سفر صموئيل الثاني ١٥: ١٢ - ٣٤ ، سفر صموئيل الثاني ١٧: ١٤ - ١٧ ، سفر صموئيل الثاني ١٦: ٢٠ - ٢٣

^٤ سفر الأمثال ١٥: ٢٢ & ٦: ٢٤

عُرْيَانُ فَاخْتَبَأْتُ. فَقَالَ: مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟. هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لَا تَأْكُلَ مِنْهَا؟. فَقَالَ آدَمُ: الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِيَ هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ. فَقَالَ الرَّبُّ الْإِلَهَ لِلْمَرْأَةِ: مَا هَذَا الَّذِي فَعَلْتِ؟. فَقَالَتْ الْمَرْأَةُ: الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ!. وَكَانَتِ النَّاتِجَةُ هِيَ الطَّرْدُ مِنَ الْجَنَّةِ وَالْحَرَمَانُ مِنَ التَّمَتُّعِ بِمَحْضَرِ اللَّهِ مَعَهُمَا^١.

وبمقارنة هدف إبليس من مشورته التي قدمها لآدم وحواء بهدف أختيول من مشورته لأبسالوم ابن الملك داود نجد هماً هدفاً واحداً. فلقد قام إبليس بإشغال شهوة الكبرياء في قلب آدم وحواء لاشتهاء أن يكونا كالله في المعرفة. وقام أختيول بإشغال شهوة الكبرياء في قلب أبسالوم لاشتهاء اعتلاء عرش الملك بدلاً من أبيه. لقد أثار إبليس ميلاً دنيئاً في قلب آدم وحواء للتمرد على سلطة الله العليا. وأثار أختيول ميلاً دنيئاً في قلب أبسالوم للتمرد على سلطة أبيه الملك المخولة له من قبل الله. ودفع إبليس بحيلة مآكرة آدم وحواء لعصيان وصية الله أن لا يأكلا من ثمر شجرة محرمة. وحاول أختيول دفع أبسالوم لمعصية وصية الله باكرام الوالدين. ليفترف خطية بشعة تمزق قلب أبيه. ولو لا تدخل العناية الإلهية لحماية عبده داود لحدث ما لا يُحمد عقباه. قدم إبليس مشورة منحوتة بأكاذيب وبدت حسنة في نظر آدم وحواء فسقطا في المعصية. وعرض أختيول مشورته التي بدت حسنة في نظر أبسالوم حتى جاء حوشاي مخدراً أبسالوم بقوله له: ليست حسنة المشورة التي أشار بها أختيول هذه المرة^٢.

ثانياً: إن حوشاي كمشير قد عالج المشكلة بحكمة رائعة.. إن المشورة المثلى نبعها أعظم مشير عرفته البشرية. ونرى في حوشاي صورة تقريبية للمشير الذي لا مثل له إلا وهو الرب يسوع. تنبأ عنه إشعياء النبي بالأصحاح التاسع من سفره بقوله عنه: "لأنه يولد لنا ولد ونعطي ابناً وتكون الرياسة على كتفه. ويُدعى اسمه عجيباً مشيراً إليها قديراً أباً أبدياً رئيس السلام". كانت تلك المشورة منذ الأزل وسنبتى إلى النهاية المشورة الصالحة لخلاص الجنس البشري. وليس للإنسان البحث عن غيرها عند غيره. مكتوب: "ليس بأحدٍ غيره الخلاص. لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أُعطِيَ بين الناس به ينبغي أن نخلص"^٣.

كتب بولس الرسول في رسالته إلى مؤمني رومية عن المشورة الأزلية والتبشير الإلهي للخلاص قال: "السر الذي كان مكتوماً في الأزمنة الأزلية. ولكن ظهر الآن وأعلم به جميع الأمم بالكتب النبوية حسب أمر الإله الأزلي لإطاعة الإيمان". وفي رسالته الثانية إلى تيموثاوس يقول: "الذي خلصنا ودعانا دعوة مقدسة لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصد والنعمة التي أُعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية وإنما أظهرت الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح الذي أبطل الموت وأثار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل". وفي رسالته إلى مؤمني كولوسي كتب يقول: "السر المكتوم منذ الدهور ومنذ الأجيال لكنه الآن قد أُظهر لقدسيه". هذا السر الذي كان مكتوماً وأظهر هو عن محبة الله الذي بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية^٤.

أخي العزيز: اسمح لي أن أسألك: أي مشير تتبّع وأي مشورة تسمع؟. إن بولس الرسول يحذرنا من حيل العدو بقوله: "ولا عجب لأن الشيطان نفسه يُغيّر شكله إلى شبه ملاك نور. فليس عظيماً إن كان خدامه أيضاً يُغيّرون شكلهم كخدام للبر. الذين نهايتهم تكون حسب أعمالهم". ليتنا أحبائنا نستمع إلى مشيرنا الأعظم الرب يسوع. فهو يُشير على كل واحد منا بدافع المحبة قائلاً: "أشير عليك أن تشتري مني ذهباً مُصفاً بالنار لكي تستغني. وثياباً بيضاء لكي تلبس. فلا يظهر خزي عريتك. إني كل من أحبّه وأبغّه وأؤدّبّه. فكن غيراً وتب. هانذا واقف على الباب وأقرع. إن سمع أحد صوتي وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهو معي"^٥.

عزيزي القارئ.. أدعوك لتشارك معي في تلك الصلاة: أبانا السماوي.. آتي إليك معلناً انقاري إلى غناك لكي أستغني. وحاجتي إلى رداء برك لكي أكتسى. هبني حكمة لأحيا مُستديداً على مشورة روجك. مُسترشداً بكلامك. أرفع صلاتي في اسم يسوع البار. متكللاً على وعذك يا من قلت: من يقبل إلي لا أخرجهُ خارجاً.

أخي القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ سفر التكوين ٣: ٦ - ٢٤ & ٣: ١ - ٥

^٢ سفر التثنية ٥: ١٦ ، سفر الملوك الأول ١٢: ١٠ ، إنجيل مرقس ٧: ١٠ ، سفر ملاخي ٤: ٦

^٣ سفر إشعياء ٩: ٦ ، سفر أعمال الرسل ٤: ١٢

^٤ رسالة بولس الرسول إلى مؤمني رومية ١٦: ٢٥ ، رسالته الثانية إلى تيموثاوس ١: ٩-١٠ ، وفي رسالته إلى مؤمني كولوسي ١: ٢٦

^٥ رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمني كورنثوس ١١: ١٤ ، سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي ٣: ١٨ - ٢٠